المقرر الرابع: الحديث الرابع والعشرون
لزوم الاستقامة

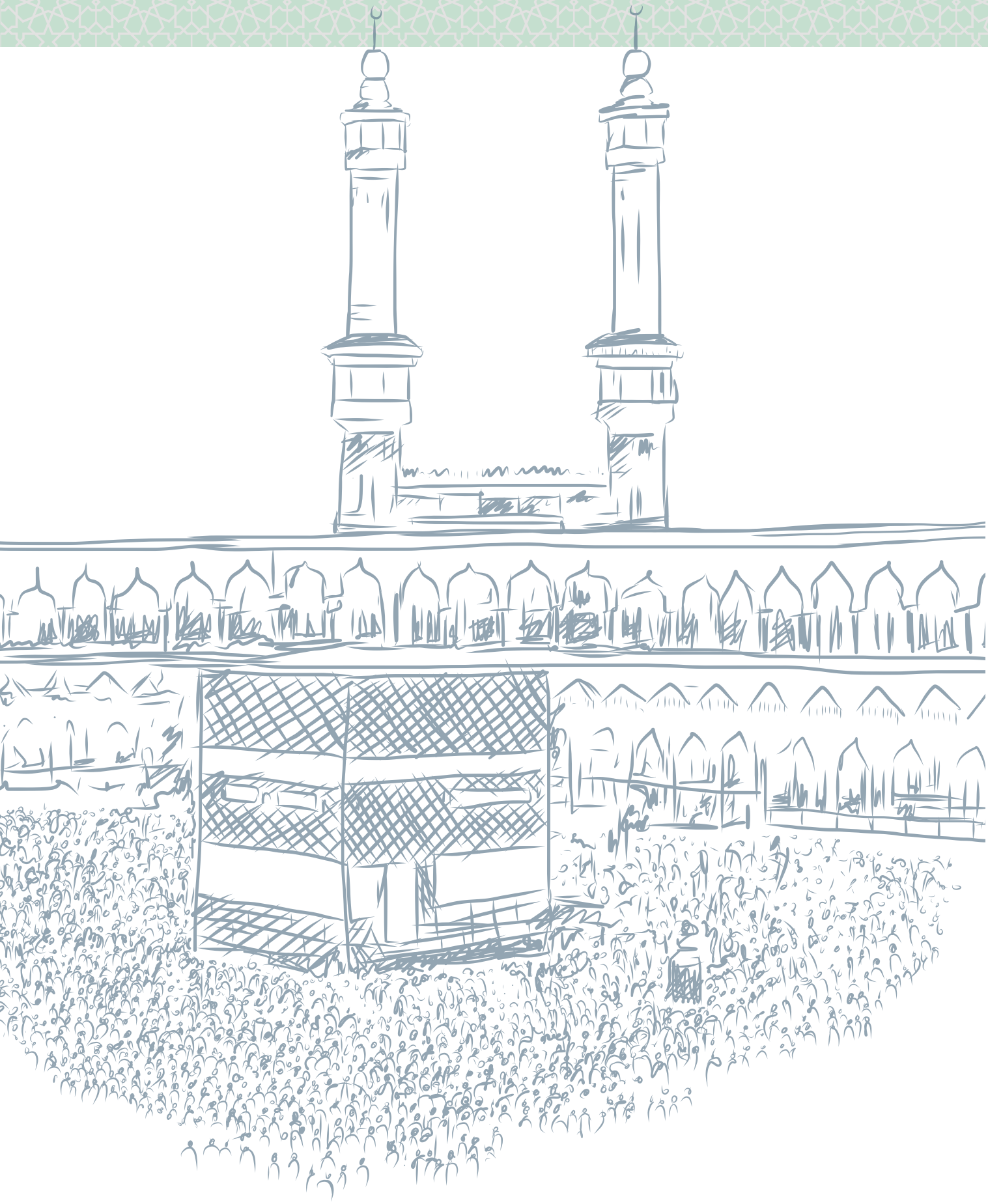

لزوم الاستقامة

٢٤. عـن سـفيانَ بـنِ عبـد اللـه الثقفـيِّ tقـال: قُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ اللـهِ، قُـلْ لِي فِي الْإِسْـلَامِ قَـوْلًا لَا أَسْـأَلُ عَنْـهُ أَحَـدًا بَعْـدَكَ - وَفِي حَدِيـثِ أَبِي أُسَـامَةَ: غَـيْرَكَ - قَـالَ: قُـلْ: «آمَنْـتُ بِاللـهِ فَاسْـتَقِمْ».

رواه مسلم (٣٨)كِتَابُ الْإِيمَان، بَابُ جَامِعِ أَوْصَافِ الْإِسْلَامِ.

أولًا: مقدمات دراسة الحديث

١. التمهيد:

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: ١٠٢)، فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يصلوا إلى أعلى درجات التقوى، وأن يستمروا، ويثبتوا على ذلك حتى يَلقَوا الله تعالى؛ فينالوا بذلك أعلى الدرجات، فهل وُجد في السُّنَّة ما يدل على هذا؟ هذا ما يُوقفك عليه حديث اليوم.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تُترجم لراوي الحديث.
٢. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٣. تُبين ما يُرشد إليه الحديث.
٤. تشرح مفهوم الاستقامة.
٥. تُبرهن على أهمية الاستقامة.
٦. تذكر العوامل المساعدة على الاستقامة.
٧. تستقيم على دين الله تعالى.

٣. موضوعات الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الخريطة التالية:

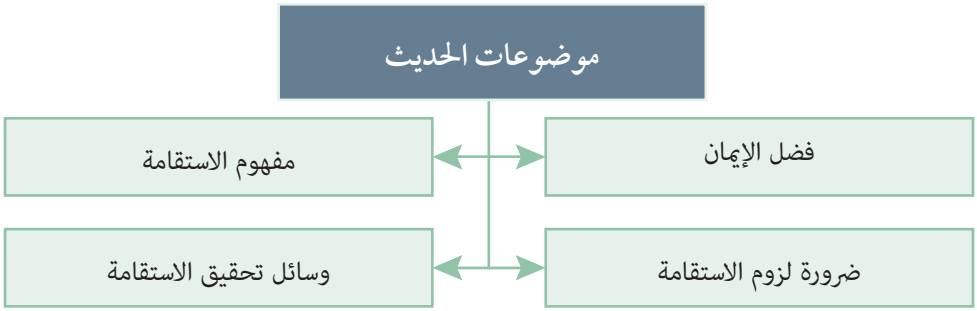

ثانيًا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

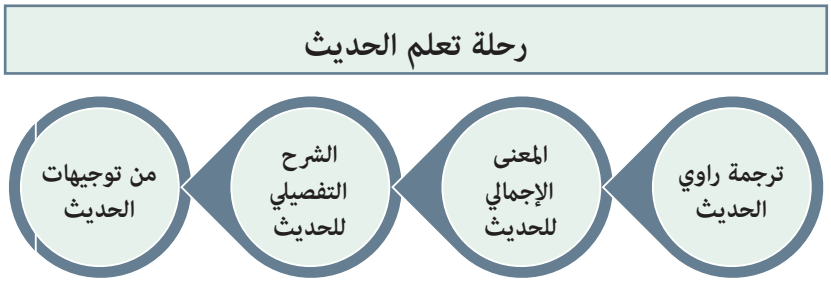

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: سفيانُ بنُ عبد الله الثقفيُّ، له صُحبةٌ ورواية، وكان قد وَلِي الطائف لعمرَ بنِ الخطَّاب ﷺ ولَّاه عليها إذ عَزَل عثمانَ بنَ أبي العاص عنها، وكان في الوفد الذين قَدِموا على رسول الله ﷺ، سكن المدينةَ، روى عنه عروةُ بنُ الزُّبير، وابنُه أبو الحكم بنُ سفيانَ، توفِّي سنةَ (٤١هـ)[٤٤٩].

نشـــاط (١) حلّل وتأمَّل ثم سجِّل

في رواية الترمذي زاد في الحديث... قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ، فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا»[٤٥٠].

وضِّح من خلال الزيادة في الرواية:

مدى فقه الراوي لمفهوم (التحلية، والتخلية (في تزكية النفس، ونجاتها.

.....

.....

.....

مدى خطورة اللسان على العبد.

.....

.....

(٤٤٩) تُراجَع ترجمته في: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٥/ ٥١٤)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/ ١٣٨٥)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ٢٥٣).

(٤٥٠) رواه الترمذي (٢٤١٠).

٢. المعنى الإجماليُّ للحديث:

قال سفيانُ بنُ عبد الله الثقفيُّ ﷺ: قلتُ: (يا رسولَ الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدكَ)؛ أي: قولًا لا أحتاج إلى أحد بعدَكَ يفسِّره لي، فأعمل بما تقول، وأكتفي به.

قال: «قل: آمنتُ بالله» المراد بذلك قول القلب واللسان؛ أي: أن يقول الإنسان بلسانه، بعد أن يُقِرَّ ذلك في قلبه، ويعتقده اعتقادًا جازمًا لا شكَّ فيه. «فاستقم»؛ أي: فاستقم على دين الله، ولا تَحِدْ عنه يَمْنةً، أو يَسْرة.

٣. الشرح المُفصَّل للحديث:

في هذا الحديث وصيةٌ جامعةٌ لكلِّ خصال الخير، موجَزة يسيرةٌ في لفظها، يَسهُل على المرء حفظُها، وينبغي عليه العملُ بها.

وقول الصحابيِّ: (قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك)؛ أي: علِّمني شيئًا جامعًا لمعاني الإسلام، واضحًا في نفْسه، لا أحتاج إلى الاستفسار عنه من غيرك، بحيث أعمل به، وأَعْكُف عليه، وهو كنحو ما رواه أبو هُريرةَ ﷺ قال: جاء رجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: علِّمني شيئًا ولا تُكْثِر عليَّ؛ لعلِّي أَعِيهِ، قال: «لا تغضبْ»، فردَّد ذلك مرارًا، كلُّ ذلك يقول: «لا تغضبْ»[٤٥١].

وقوله ﷺ: «آمنتُ بالله فاستقم» هذا من جوامع كَلِمه ﷺ؛ كما أخبر عن نفْسه في الحديث عن أبي هريرة ﷺ: «بُعِثت بجوامع الكَلِم»[٤٥٢]؛ فإنه ﷺ جمع لهذا السائل في هاتين الكلمتين معانيَ الإسلام، والإيمان كلها؛ فإنه أمرَه أن يجدِّد إيمانه متذكِّرًا بقلبه، وذاكرًا بلسانه، ويقتضي هذا استحضار تفصيل معاني الإيمان الشرعيِّ بقلبه، ثم أمره بالاستقامة على أعمال الطاعات، والانتهاء عن جميع المخالفات؛ إذ لا تتأتَّى الاستقامةُ مع شيء من الاعوجاج؛ فإنها ضدُّه[٤٥٣].

وهذا نظير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[فصلت: ٣٠]؛ فإن معناه: وَحَّدُوا الله، وآمنوا به، ثم استقاموا فلم يَحيدوا عن توحيدهم، ولا أشركوا به غيره، والتزموا طاعته إلى أن تُوُفُّوا على ذلك[٤٥٤].

---

(٤٥١) رواه البخاريُّ (٦١١٦)، والترمذيُّ (٢٠٢٠)، واللفظ له. وانظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبيِّ (١/ ٢٢١)، «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق العيد (ص: ٨٠).

(٤٥٢) رواه البخاريُّ (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

(٤٥٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبيِّ (١/ ٢٢١).

(٤٥٤) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (١/ ٢٧٥)، «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبيِّ (١/ ٢٢٢).

والاستقامة في ذاتها أمرٌ جامعٌ للإتيان بجميع الأوامر، والانتهاء عن كافَّة النواهي؛ فإن العبد لو تَرَك أمرًا، أو اقترف مَنهيًّا عنه لم يَكُن مستقيمًا[٤٥٥].

لذا؛ كان الأمر بالاستقامة صعبًا شديدًا؛ فإن الإنسان لا يقوى على الاستقامة بالكلية؛ ولهذا قال ﷺ في حديث ثوبان ﷺ: «استقيموا ولن تُحصوا»[٤٥٦]؛ أي: استقيموا، ولن تَستطيعوا الاستقامة بالكلية؛ ولكن اجتهدوا قدرَ المستطاع، واسألوا الله العَون والثبات[٤٥٧].

نشـــاط (٢) فكِّر ثم اضرب أمثلة لأنواع التوحيد

قوله: «آمنت بالله» يشمل الإيمان بوجود الله -عزَّ وجلَّ-، وبربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه، وبصفاته، وبأحكامه، وبأخباره، وكل ما يأتي من قِبَله -عزَّ وجلَّ- تؤمن به، فإذا آمنتَ بذلك، فاستقم على دين الله، ولا تَحِدْ عنه يمينًا، ولا شمالًا، لا تقصِّر ولا تَزد[٤٥٨] في ضوء العبارة السابقة اضرب نماذج لأنواع التوحيد التي لا يسع المسلم جهلها:

توحيد ألوهية	توحيد ربوبية	توحيد أسماء وصفات

(٤٥٥) انظر: «المفاتيح في شرح المصابيح» للمظهريِّ (١/ ٨٧)، «شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن» للطِّيبيِّ (٢/ ٤٥٧).

(٤٥٦) رواه ابن ماجه (٢٧٧)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٩٨).

(٤٥٧) انظر: «المفاتيح في شرح المصابيح» للمظهريِّ (١/ ٨٧).

(٤٥٨) «شرح رياض الصالحين» لابن عُثيمين (١/ ٥٧١، ٥٧٢).

نشـــــاط (٣) اقرأ ثم اشرح

روح الاستقامة هو الثبات والدوام المقترن بالرفق واليسر، اشرح ذلك مستفيدًا من الحديثين التاليين:

لما سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» وَقَالَ: «اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ»(٤٥٩).

وقوله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ، وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»(٤٦٠).

.....

.....

.....

.....

.....

(٤٥٩) رواه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٣).

(٤٦٠) رواه البخاري (٣٩).

نشـــــاط (٤) تأمّل ثم ضع علامة ☑

من خلال رحلتك مع شرح الدرس، وتفاصيل موضوع الاستقامة؛ صنِّف ما يلي من النصوص بوضع علامة (☑) في المكان المناسب وفق محددات الجدول التالي؛ لبيان جهة اتصالها بموضوع الاستقامة، هل هو وسيلة لتحقيقها، أو ثمرة من ثمراتها، أو هو ركن من أركانها، أو هو ناقض ومفسد لها؟ مع ملاحظة أنه يمكن أن يُصنف النص في أكثر من عمود لاحتوائه على أكثر من دلالة.

النص	علاقته بالاستقامة			
	ركن	وسيلة	ثمرة	ناقض
قوله ﷺ: «اتَّقِ اللهّ حيثما كنتَ، وأتبع السّيّئةَ الحسنةَ تَمحُها».				
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ (آل عمران: ٢٠٠).				
قوله ﷺ«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ».				
﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾﴾ (هود: ١١٢).				
﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾﴾ (النساء:٦٦).				
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾﴾ (محمد: ٢٥).				
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ (الأحقاف: ١٣).				
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾﴾ (الإسراء: ٩).				

نشـــــاط (٥) تأمَّل ثم ضع علامة ☑

بعد تأملك لقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾[هود: ١١٢، ١١٣]. اكتب كلمة (خطأ) أمام العبارة غير المناسبة فيما يلي:

من العوامل المساعدة على الاستقامة:

- التركيز على المحدثات في أمور العبادة. ( )
- الصحبةُ الصالحة، وتجنُّب أهل المعاصي. ( )
- الحياء من الله استشعار مراقبته تعالى للعبد. ( )
- مجانبة البغي، والظلم، والعدوان. ( )

واستقامةُ المأمور صعبةٌ شديدةٌ؛ فإنها تشتمل على العقائد، والأعمال، والأخلاق، فالاستقامةُ في العقائد أن يجتَنِب التشبيه، والتعطيل، وفي الأعمال أن يَحترِز عن التغيير، والتبديل، وفي الأخلاق أن يَبعُد عن طرفَي الإفراط، والتفريط [٤٦١].

وقد كثُرت عبارات الصحابة في تعريف الاستقامة، وهي تحومُ جميعًا حولَ معنًى واحد؛ قال أبو بكر الصديق ﷺ: «الاستقامة: ألَّا تُشرِكَ بالله شيئًا». يريد الاستقامة على محضِ التوحيد.

وقال عثمانُ بنُ عفَّانَ ﷺ: «استقاموا: أخلَصوا العمل لله».

وقال عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ، وابن عبَّاس -رضي الله عنهما-: «استقاموا: أدَّوُا الفرائضَ».

وقال الحسن -رحمه الله-: «استقاموا على أمر الله، فعَمِلوا بطاعته، واجتنبوا معصيته»[٤٦٢].

---

(٤٦١) «شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن» للطِّيبيِّ (٢/ ٤٥٨).

(٤٦٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ١٠٤)، «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٥٠٨).

نشـــــاط (٦) اقرأ وحلّل ثم استخرج الثمرة

أراك الآن قد عزمت أمرك على الاستقامة، ولكنك في حاجة إلى ما يُقوِّي عزيمتك أكثر، ويمكن تحقيق ذلك لو وقفت على ثمرات الاستقامة، فحاول أن تستخرجها من خلال الآيات التالية:

الآية	الثمرة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].	
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ [الجن: ١٦].	
مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧].	

٤. من توجيهات الحديث:

- في هذا الحديث وصيةٌ جامعةٌ لكلِّ خصال الخير، موجَزة يسيرةٌ في لفظها، يَسهُل على المرء حفظُها، وينبغي عليه العملُ بها، وهو من جوامع الكَلِم التي أُوتيها النبيُّ ﷺ؛ كما أخبر عن نفْسه في الحديث عن أبي هريرة ﷺ: «بُعِثت بجوامع الكَلِم»(٤٦٣)، وهي التعبير عن الأمور العظام بالألفاظ اليسيرة السهلة.
- في الحديث دليل على كمال عقل هذا الرجل السائل للرسول ﷺ؛ لأنه قال: «قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك»، ومعناه: قل لي قولًا واضحًا جَليًّا آخذ به، وأعمل به.
- في الحديث دليل على حرص الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- على الخير، وعلى التفقُّه في الدين، وعلى معرفة الحقِّ، والهدى.
- من اللائق التعبير بالاستقامة، فيقال: فلانٌ مستقيمٌ، ولا يقال: ملتزمٌ؛ لأن الاستقامة هي

(٤٦٣) رواه البخاريُّ (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

اللفظ القرآنيُّ، ولأن الالتزام يعني لزومَ أمرٍ معيَّن، سواءٌ أكان صالحًا، أم فاسدًا[٤٦٤].

- الاستقامة في ذاتها أمرٌ جامعٌ للإتيان بجميع الأوامر، والانتهاء عن كافَّة النواهي؛ فإن العبد لو تَرَك أمرًا، أو اقترف مَنهيًّا عنه لم يَكُن مستقيمًا[٤٦٥].
- الاستقامةُ تشتمل على العقائد، والأعمال، والأخلاق، فالاستقامةُ في العقائد أن يجتَنِب التشبيه، والتعطيل، وفي الأعمال أن يَحترِز عن التغيير، والتبديل، وفي الأخلاق أن يَبعُد عن طرفَي الإفراط، والتفريط[٤٦٦].
- المراد بالاستقامة على التّوحيد: التّوحيد الكامل الّذي يحرِّم صاحبه على النّار، وهو تحقيق معنى لا إله إلّا اللهّ؛ فإنّ الإله هو المعبود الّذي يُطاع، فلا يُعصى؛ خشيةً وإجلالًا، ومهابةً، ومحبّةً، ورجاءً، وتوكُّلًا، ودعاءً، والمعاصي كلُّها قادحة في هذا التّوحيد؛ لأنّها إجابة لداعي الهوى، وهو الشّيطان[٤٦٧].
- من مؤهِّلات الداعية، والمربِّي: امتلاكُ القدرة البيانية على صياغة المعاني الكثيرة في كلمات سهلة، وقليلة؛ اقتداءً بالنبيِّ ﷺ؛ حتى لا يَكثُر الكلام على المدعوِّين فيَعُوه.
- ينبغي على العاقل أن يسأل ما يشمل الدين ويَعمُّه، ولا تكون أسئلته فيما لا طائلَ من ورائه[٤٦٨].
- السؤال مفتاحُ العلم، وعلى كلِّ عاقل أن يُبادر بالسؤال عما جَهِله من أمور الدين والدنيا مما يُحقِّق له السعادة، والنجاة في العاجل، والآجل.
- لتحقيق الاستقامة؛ لا بد من مجاهدة النفس على الإخلاص في العلم، والعمل؛ فالإخلاص رُوح كل عبادة، وبه تستقيم النفس، وتَصدُق مع الله في الأقوال، والأعمال.

---

(٤٦٤) انظر: «شرح الأربعين النووية» للعثيمين (ص: ٢١٤).

(٤٦٥) انظر: «المفاتيح في شرح المصابيح» للمظهري (١ / ٨٧)، «شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن» للطِيبي (٢ / ٤٥٧).

(٤٦٦) «شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن» للطِيبي (٢ / ٤٥٨).

(٤٦٧) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١ / ٥٠٩)

(٤٦٨) انظر: «شرح الأربعين النووية» للعثيمين (ص: ٢١٣).